

Journal of Ma'ālim al-Qur'ān wa al-Sunnah

Volume 21 No. 1 (2025)

ISSN: 1823-4356 | e-ISSN: 2637-0328

Homepage: <https://jmqs.usim.edu.my/>



- Title : **The Depiction of the Followers of Tyrants in the Qur'anic Narratives: The Soldiers of Pharaoh as a Case Study**
- Author (s) : Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany
- Affiliation (s) : Universiti Sains Islam Malaysia
- DOI : <https://doi.org/10.33102/jmqs.v21i1.515>
- History : Received: January 28, 2025; Revised: March 9, 2025; Accepted: May 7, 2025; Published: June 30, 2025.
- Citation : Qatanany, Ahmed Abedalqader Hasan. "The Depiction of the Followers of Tyrants in the Qur'anic Narratives: The Soldiers of Pharaoh as a Case Study". Journal of Ma'ālim al-Qur'ān wa al-Sunnah 21, no. 1 (2025): 24-40.  
<https://doi.org/10.33102/jmqs.v21i1.515>
- Copyright : © The Authors
- Licensing :  This article is open access and is distributed under the terms of [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)
- Conflict of Interest : Author(s) declared no conflict of interest

# مشاهد أتباع الظالمين في سياق قصص القرآن الكريم:

## جنود فرعون نموذجاً

### The Depiction of the Followers of Tyrants in the Qur'anic Narratives: The Soldiers of Pharaoh as a Case Study

Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany\*  
Universiti Sains Islam Malaysia

#### الملخص

يتناول هذا البحث مشكلة مهمة من المشاكل الواقعية التي نحيها في هذه الأيام، وهي زعم كثير من الجنود أتباع الحكام الظالمين والقادة المجرمين الذين يوالون اليهود والنصارى خصوصاً بأنهم لا ذنب لهم فيما يفعلون، فهم يطيعون الأوامر وينفذونها طاعة لولي الأمر الواجبة، فهل هذا المبرر يغني عنهم شيئاً يوم القيامة؟ وقد أكثر القرآن الحديث عن هذه القضية، وبين صفات كل من القادة وأتباعهم للحذر منها واجتنابها والابتعاد عنها في الدنيا، وبين مآلهم وعاقبتهم ومصيرهم في الآخرة كذلك، ليعلموا ما سيؤولون إليه من العذاب الوخيم الأليم، وأنهم فيه مشتركون. وقد كانت طريقة القرآن في علاج ذلك على ضروب عديدة، ستركز الدراسة على الضرب الأول وهو في مجال القصص القرآني، وأبرز مثال على ذلك الحديث عن جنود فرعون لبيان صفاتهم وعاقبتهم في الدنيا والآخرة. يجيب هذا البحث عن تلك الأسئلة، ويبرز تلك الصفات السلبية لعله يسهم بدور في علاج هذه الظاهرة، ويكون لبنة في تحرير الأوطان والإنسان من رق العبودية للظالمين والمجرمين.

**الكلمات المفتاحية:** مشاهد، أتباع الظالمين، قصص القرآن، جنود فرعون، سياق القرآن.

\* Correspondence concerning this article should be addressed to Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany, Universiti Sains Islam Malaysia at [ahmadqatanany@usim.edu.my](mailto:ahmadqatanany@usim.edu.my)

## Abstract

This paper examines the pressing current topic of the moral accountability of troops and subordinates who obey repressive dictators and criminal leaders. Numerous individuals in such roles, whether among Jews, Christians, or others, attempt to exonerate themselves by asserting that they are only following orders or executing their official responsibilities. However, would this rationale benefit them on the Day of Resurrection? The Qur'ān addresses this issue in various passages, depicting the characteristics of tyrannical leaders and their adherents, cautioning against their imitation in this world (*dunyā*) and clarifying the severe and painful repercussions they will endure in the Hereafter (*ākhirah*), which they will all collectively experience. This research examines the Qur'ān's approach of this issue, particularly within its tales, with a specific focus on the account of Pharaoh's army as a representative example. This research aims to address critical enquiries regarding complicity, obedience, and responsibility through the analysis of character qualities and final consequences. This emphasises detrimental habits that sustain injustice and provides essential insights that might aid in liberating individuals and society from the constraints of subservience to oppressors and criminals.

**Keywords:** Depictions, Followers of the Tyrants, the Soldiers of Pharaoh, Context of the Qur'ān, Stories of the Qur'ān, Narrative

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن الله تعالى أنزل القرآن ليكون بمثابة دستور لنا، نرجع إليه إذا أردنا أن نقي أنفسنا من الشرور والآثام، ونهرع إليه عندما نريد أن نعالج أنفسنا من الأمراض والأسقام، ونعتمد عليه لتهديب نفوسنا وتزكية أخلاقنا، ونحتكم إليه عند تخاصمنا وتناحرنا.

مشكلة الدراسة: برزت بوضوح وجلاء في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة، وهي قول كثير من جنود الحكام الظالمين في زماننا والذين لا يختلف اثنان منصفان على أنهم لا يطبقون شرع الله: إنهم عبيد مأمورون، يفعلون ما يؤمرون، وإذا لم يفعلوا ذلك يفقدون عملهم وورقهم ووظيفتهم،

وإنهم إذا لم يفعلوا ذلك بأنفسهم سيفعله غيرهم، وإن أعمالهم يسيرة لا ترتقي للكبائر، والإثم إن حصل فإنما يقع على الأمرين. وهذه هي مشكلة الدراسة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة بالرجوع إلى القرآن -المنبع الأول لعلاج المشكلات، والإجابة عن التساؤلات- لمعرفة صحة قول الأتباع من عدمه، وسلامة فعلهم من سقمه.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج التحليلي للآيات التي تحدثت عن ذلك ، وجعلت النموذج في ذلك جنود فرعون لكثرة حديث القرآن عنهم، وبيان ذلك فيما تسمح به طبيعة البحث وتقتضيه الضرورة العلمية، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة.

حدود الدراسة: ركزت في الحديث عن أتباع القادة، وليس عن القادة أنفسهم، لأن سؤال الدراسة موجه لذلك، ولأنه لا خلاف في أن المقصود بالقادة هم الظلمة والمجرمون، وهؤلاء صفاتهم معروفة، وعاقبتهم ظاهرة.

## 2. مشاهد أتباع فرعون وجنوده في قصص القرآن

من المعروف أن قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون لعنه الله، هي أكثر قصة ذكرت في القرآن الكريم؛ وذلك لأنها تعتبر قصة الحياة التي تتكرر في كل زمان ومكان، فالطغاة الذين يمثلهم فرعون موجودون في كل زمان ومكان، والفئة المؤمنة الذين يمثلهم موسى عليه الصلاة والسلام موجودون كذلك.

ولا بد أن يكون للطغاة جنود وأتباع، ينفذون ما يطلبونه منهم، ويخدمونهم، ويقومون بشؤونهم، وقد بين القرآن ذلك في قصة موسى مع فرعون، وسماهم "جنود فرعون" ، وبين أفعالهم وصفاتهم وعاقبتهم، بيانا جليا واضحا لا لبس فيه ولا غموض.

من أجل ذلك، وقع الاختيار على هذه القصة في هذا البحث؛ ليعلم أتباع القادة وجنودهم في أيامنا هذه، إن كانوا يشتركون في الأفعال والأقوال والصفات مع هؤلاء الجنود، فيحذروا من ذلك أشد الحذر.

وسوف يكون منهجي سرد كل مشهد من المشاهد على حدة والتعليق عليه مباشرة، لأخذ العبر المستفادة منه، والدروس الموجودة فيه فيما يتعلق بموضوع البحث والدراسة فقط.

## 2.1 المشهد الأول من سورة القصص

قوله تعالى في مطلع سورة القصص: "نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ (5) وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) .

أول المشاهد التي سنعرض لها ما جاء في سورة القصص، لكونها تحدثت باستفاضة عن قصة موسى وفرعون، ونلاحظ مطلع السورة القائل: "نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون". فهذا إذن نبأ عظيم وليس خبرا عاديا، وهو نبأ حق لأنه من الله الحق، والمتعظ منه هم المؤمنون، أما من ليس في قلوبهم إيمان حقيقي فيسمرون عليه مروراً لا يتجاوز أسماعهم.

ثم تبين الآية التالية صفات فرعون، وهو أنه متكبر، مستعلٍ على الناس، مفسدٌ في الأرض، مفرق للجماعات ومستضعف لبعض الطوائف والفتات، وهذه صفات الطغاة في كل زمان ومكان. يقول الألوسي: "إِنَّ فِرْعَوْنَ تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا أي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرف

وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يعمل ضرب عليه الجزية فيخدمه بأدائها أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أي يجعلهم ضعفاء مقهورين والمراد بهذه الطائفة بنو إسرائيل". (الألوسي، روح المعاني، 10\253). وذكر صفات فرعون مهم لأنه بذلك يبين لنا صفات من يتبعونه.

و مما تجب ملاحظته هنا، أن من صفاته أنه قاتل، يذبح أبناء بني إسرائيل ويبقي بناتهم أحياء، وهذه صفة تجبر وتغطرس لا تصدر إلا عن نزع من قلبه الرحمة والإنسانية.

ولكن السؤال: هل كان فرعون الطاغية يباشر ذلك بنفسه؟ هل كان هو من يبحث عن الأطفال، ويفرق بين الذكر والأنثى، فيأخذ الذكر ويبقي الأنثى، وهل كان هو من يقوم بقتل الأطفال الذكور بنفسه؟ إن الجواب بكل تأكيد: لا. إنه يأمر بذلك فقط، وجنوده وأتباعه هم من ينفذون كل شيء.

وهنا تبرز قيمة الجنود والأتباع. إن القائد بدون جنود يتبعونه، وينفذون أوامره، لا يساوي شيئا، ولذا ساوى القرآن فيما بينهم في الصفات وفي النتيجة، لأنهم لا ينفكون عن بعضهم بعضا. ولذلك جمع الله تعالى بينهم في هذا المقطع مرتين، في الآية السادسة والآية الثامنة، ليؤكد تأكيداً جازماً على هذه الحقيقة، فلم يقل: إنهم كانوا خاطئين، بل أظهر في موضع الإضمار ليكون أبلغ في الإنذار.

- " ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون".

- " إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين".

جمع الله بين فرعون القائد الطاغية، وهامان الوزير المجرم، وبين جنودهما بحرف الواو، واو العطف التي تفيد الاشتراك. صفاتهم مشتركة، وعاقبتهم مشتركة، تشمل جميع المذكورين: إنهم خاطئون. وهذه اللفظة تحمل في طياتها كل الصفات التي ذكرت آنفاً عن فرعون، لتشمل كل من أزره وعاونوه وساعده ونفذ أوامره.

وبذلك، لا يبقى حجة لمن يفرق بين القادة الظلمة وأتباعهم، بأن الأمر يختلف عن المأمور في الحكم، وأن الإثم إن حصل فإنما يقع على الأمرين؛ لأنهم مجرد منفذين للأوامر؛ إنهم عبيد مأمورون، يفعلون ما يؤمرون فقط، وإذا لم يفعلوا ذلك يفقدون عملهم ورزقهم ووظيفتهم، وإذا لم يفعلوا ذلك بأنفسهم سيفعله غيرهم؛ كل هذا مرفوض في ميزان القرآن؛ لأن هؤلاء الأتباع هم أدواته وهم جنوده، ولولاهم لما استطاع فعل شيء، هم مشتركون في الفعل وفي الصفات وفي النتيجة، هكذا هم في ميزان القرآن، بغض النظر عن تبريراتهم، فالرزق مكفول ومضمون من الله، وإذا فعل غيرك فأنت نجوت بنفسك، وليتحمل هو تبعة ذلك.

ولا يشوش على هذه النتيجة، التفريق بين فرعون وبين الحكام الظلمة في هذه الأيام؛ لأن الحق سبحانه في هذه الآيات وصف فرعون بأوصاف الظلم والكبر والإجرام والقتل والفساد والإفساد، ولم يتعرض لمسألة الإيمان والكفر، تلك الصفات عاقبتها وخيمة حتى لو صدرت ممن يدعي الإيمان، ومساعدة القادة الظلمة على ظلمهم من أتباعهم كمساعدة جنود فرعون له بتنفيذ أوامره بالقتل والإفساد.

صحيح أن فرعون زاد جرمه بكفره وادعائه الربوبية والإلهية، لكن تلك الصفات صفات الظلمة بمعزل عن مسألة الإيمان والكفر، لأن الله لا يحب الظلم ولا الظالمين، أيا كانوا ومن كانوا في أي زمان ومكان.

## 2.2 المشهد الثاني من سورة القصص

قوله تعالى في سورة القصص أيضا: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (41) وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (42) "

نلاحظ في هذا المشهد تأكيد القرآن العظيم على الملاحظات السابقة الذكر في المشهد الأول؛ وذلك لعلمه سبحانه وتعالى بالحجج الواهية التي يطلقها المبررون لأنفسهم من أتباع القادة الظلمة.

فنلاحظ أولاً أن فرعون لم يبين الصرح بنفسه، وإنما أمر هامان بذلك، وهو بدوره سيأمر جنوده المختصين بفعل ذلك، وذلك يؤكد اشتراك الجنود والأتباع دوماً في الجريمة، وأنهم بدوهم لا يستطيعون فعل شيء، وليس شرطاً أن يكون الجندي عسكرياً فهم هنا مهندسون وبناءون وبالرغم من ذلك سماهم القرآن جنوداً.

ونلاحظ كذلك إشراك القرآن جنود فرعون معه في الصفات: "واستكبر هو وجنوده" فهو مستكبر وجنوده كذلك، "وظنوا..." هو ظن أن لن يرجع إلى الله فتمادى في طغيانه، وجنوده كذلك. واشتراكهم في العاقبة الدنيوية أيضاً: "فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم"، فالله سبحانه لم يغرق فرعون وحده، وإنما أغرق كل من كان معه، فاشتركوا جميعاً في العذاب والهلاك.

وقد أكد على ذلك مرتين أيضاً كما أكد في المشهد الأول في مطلع السورة، وجاء التأكيد في آيتين متتاليتين، فلم يقل: "فأخذناهم ونبذناهم"، ولو قال ذلك لفهمنا اشتراكهم معه في النتيجة، بل نلاحظ هنا ملحظاً دقيقاً، وهو أن القرآن لم يعد لفظ فرعون ولم يكرر ذكره، بينما كرر لفظ الجنود؛ (إضمار في موضعه لفرعون وإظهار في موضع الإضمار للجنود) وذلك ليزيد في ظهور هذا الأمر ووضوحه حتى يستقر في النفوس استقراراً راسخاً، ويتأكد تأكداً ثابتاً، ولينفي مزاعم الجنود الواهية التي ذكرناها آنفاً، ويدحض حججهم الباطلة، ويفند تبريراتهم الضعيفة.

ثم وصفهم جميعاً بأنهم ظالمون، وليس الظالمون هم القادة فقط، وليس الظالمون هم الأمرون فقط، بل من أعان الظالم على ظلمه فهو ظالم مثله، ولذلك اشتركوا في العذاب والغرق والهلاك، ولم يفرق بين أحد منهم. يقول ابن كثير: "أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة"، فلم يبق منهم أحد" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 239/6).

ثم بين أن هؤلاء جميعاً أئمة في الضلالة، يدعون إلى النار، فأما إمامة القادة فواضحة، ولكن كيف يكون الجنود أئمة؟ وأظن أن معنى إمامتهم ودعوتهم إلى النار هو في اتباعهم ظلم



فرعون وتنفيذ طلباته، فكأنهم صاروا دعاة إلى الظلم، والظلم يقود إلى النار، فلما هلكوا مع فرعون الذي صار لقبه يطلق على كل طاغية، صاروا مضرب المثل معه في ذلك، لذلك حذر القرآن أن من كان على شاكلتهم فسيخسر مثلهم، ولا محاباة عند الله.

ثم بينت الآيات أنهم جميعا مشتركون في اللعن، ملعونون في هذه الدنيا، هذه هي عاقبتهم.. لعنة وطرد من رحمة الله. وأما في الآخرة فسيكون وصفهم الملازم لهم القبح، فسيكونون من المقبوحين في تلك الدار، وبئس النعت والوصف والعاقبة والمصير والقرار!

ومن اللطيف أن القرآن قال: وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة"، فلم يقل: لعناهم، أو كانوا من الملعونين، بل قال: "وأتبعناهم"؛ فلأن الجزاء من جنس العمل، وهؤلاء أتباع الظالمين، فكذلك أتبعناهم اللعنة، فاختار اللفظ المناسب لحالهم.

ومن المهم التأكيد على أن الآيات بينت هلاك جنود فرعون بالغرق، لكن من كان في الظلم كجنود فرعون ولم يحل به الهلاك القاتل والعذاب المستأصل كجنود فرعون، فستحقيق به اللعنة في الدنيا، ومن كان له قلب فيكفيه هذا الوعيد، وسينضم إليه مع ذلك عذاب الآخرة، حيث لا ناصر لهم ولا معين.

### 2.3 مشهد سورة طه

قوله تعالى في سورة طه: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تُخْشَىٰ (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَصْلًا فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (79)"

سورة طه من السور الكريمة التي استغرقت معظم آياتها الحديث عن قصة موسى عليه الصلاة والسلام مثل سورة القصص. يبين هذا المشهد طريقة نجاة موسى ومن معه من عباد الله، وطريقة هلاك فرعون وجنوده، ففيها مقارنة بين الفريقين، فسمى الله أتباع موسى عبادا لله "بعبادي"، بينما سمي الفريق الآخر بجنود فرعون "فرعون بجنوده" وشتان بين الوصفين.

ويبين المشهد أيضا أن موسى ومن معه نجوا بفضل الله من الغرق بإعجاز رباني، وأن فرعون وجنوده هلكوا بإعجاز رباني كذلك. وسبحان من جعل الآية الواحدة تنجي فريقا وتغرق فريقا!.

يقول أبو زهرة في تفسيره: وتبعهم فرعون مصاحبا جنوده؛ فاجتمع بكل ما عنده من جند قوي؛ تجبر بهم وعانده؛ فتبع موسى الذي جمع بني إسرائيل؛ فكان جمع الأقوياء؛ وراء جمع الضعفاء؛ ولكن كان الله مع الضعفاء؛ فرعون وجنده وراء موسى وبني إسرائيل؛ وقد ضل هو وجنده؛ حتى إذا تم دخولهم انطبق عليهم البحر؛ وهذا معنى قوله (تعالى): فغشيهم من اليم ما غشيهم أي: غطاهم من البحر ما غطاهم؛ وهذا من الإعجاز المعجز؛ لأن جندا بأكمله، كان يتجبر به فرعون ويستعلي ويغتر؛ وقد جمعه كله بإرادته؛ قد ألقاه فرعون في البحر إلقاء". (أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4760/9 بتصرف).

وتؤكد الآيات مرة أخرى اشتراك الجنود في النتيجة والعاقبة مع فرعون الطاغية، فالبحر لم يطبق على فرعون وحده، بل أغرق الجميع دون تفريق؛ لأن الكل اشترك في الجريمة، ولأن الكل مسؤول عن اختياراته، وإن كانت مسؤولية فرعون أكبر من حيث كان هو سبب الإضلال والغواية، لكن من ميزه الله بنعمة العقل فيجب عليه استخدامها للتمييز بين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل. قال البيضاوي: "فغشاهم ما غشاهم" أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك.

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ أَيَّ أَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ وَمَا هَدَاهُمْ وَهُوَ تَحْكُمُ بِهِ فِي قَوْلِهِ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ أَوْ أَضْلَهُمْ فِي الْبَحْرِ وَمَا نَجَا" (البيضاوي، أنوار التنزيل، 4\34). يقول سيد قطب: "وقاد فرعون قومه إلى الضلال في الحياة كما قادهم إلى الضلال والبحر. وكلاهما ضلال يؤدي إلى البوار". (قطب، في ظلال القرآن، 4\2344).

## 2.4 مشهد سورة الزخرف

قوله تعالى في سورة الزخرف: "وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

(52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ (53) فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (56)

يبين هذا المشهد أساليب القادة الظلمة في استغلال الضعفاء لاتباعهم على ما يعتقدونه ويريدونه، ففرعون هنا يدعي لنفسه الملك والقوة والغنى، ويعتبر ذلك كافيا لإقناع قومه بتفوقه ووجوب اتباعه وتنفيذ أوامره، وهذا الأسلوب استخفاف بالعقول، وهذه الطريقة ضحك على الذقون، ولكن للأسف وجدت هذه الدعوة آذانا صاغية، ووجد هذا النداء أجسادا متبعة، دون تفكير ولا تمييز ولا تمحيص. قال البغوي : " ( فاستخف قومه ) أي وجدهم جهالا . وقيل : حملهم على الخفة والجهل . يقال : استخفه عن رأيه ، إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب " (البغوي، معالم التنزيل: 218/7)

لكن ما يريد القرآن تأكيده في هذا السياق، أن كل هذا ليس مبررا يسوغ اتباع الظلمة على ظلمهم، وطاعتهم على باطلهم، ولم يجعل ذلك حجة مقبولة، ولا سببا كافيا يزيل عنهم الإثم والحرَج، بل ذمهم على هذا الفعل الشنيع، ووصفهم بأنهم قوم فاسقون، خارجون عن أمر الله الذي أمر بالعدل لا بالظلم، وبالهدى لا بالضلال، وبالحق لا بالباطل، فعدم استخدام نعمة العقل والتفكير التي ميز الله بها بني آدم عن غيرهم من الحيوانات والجمادات، يجعل هذا الوصف خليقا بهم، وهم يستحقونه.

ثم بين الله أنه حثهم على اتباع الحق لا الباطل، من خلال دعوة موسى عليه السلام لهم، واستفراغ الوسع في ذلك، وإمهالهم وإعطائهم الفرصة الكافية والوقت الكثير، من إيجاء قوله تعالى: "فلما آسفونا" فلم يأخذهم على غرة، وإنما بعد البيان والإيضاح. فكانت النتيجة الطبيعية هي اشتراكهم في العذاب كما قررت الآيات السابقة: "فانتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين".

ويلاحظ استخدام كلمة: "أجمعين" الدالة على أنه لم يستثن منهم أحدا، حتى لا يظن ظان بأنه قد ينجو.

وبهذا الفعل الشنيع صاروا سلفا ومثلا لمن بعدهم، كأن يقال لمن يشتركون معهم في الصفات: لا تكونوا كجنود فرعون فيصيبكم ما أصابهم، وإياكم أن تفعلوا فعل قوم فرعون فيحل بكم ما حل بهم، وحذار أن تتبعوا القادة الظلمة كما اتبع قوم فرعون فأصابهم ما أصابه، وهذا معنى كونهم أئمة كما بينت آنفا؛ إذ صاروا مضرب المثل في ذلك. قال الزمخشري: "فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار، يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم، لإتيانهم بمثل أفعالهم، وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل، يحدثون به ويقال لهم: مثلكم مثل قوم فرعون" (الزمخشري، الكشاف، 4\259).

## 2.5 مشهد سورة يونس

قوله تعالى في سورة يونس: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَبَدِّنَا لِتُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92))

تبين هذه الآيات في هذا المشهد عاقبة فرعون وجنوده، وتؤكد على تلك الحقيقة الخالدة التي يجب أن تستقر في نفوس أتباع القادة الظلمة الذين يبررون لأنفسهم أفعالهم، ويستسهلونها ويطنونها يسيرة، أنكم مشتركون في الصفات وفي العاقبة. ويزيد النص القرآني هنا صفتين جديدتين هما: أنهم باغون وأهم عادون. يقول أبو السعود: "بغيا وعدوا: ظلما واعتداء، أي: باغين وعادين، أو للبغي والعدوان" (أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/173). فهم ظالمون ومتجاوزون لحدود الله ومتهكون لحرماته، إنهم يريدون اللحاق بهم لقتلهم أو سجنهم أو تعذيبهم إذا أمسكوا بهم، وأي بغي وعدوان أشد من ذلك؟!

كما تبين هذه الآيات ملحظا دقيقا، وهي أن القادة الظلمة يعرفون الحق في قرارة أنفسهم، وأنهم يستخدمون أتباعهم ويستخفون عقولهم للإبقاء على جاههم ومناصبهم، ويظهر ذلك من خلال محاولة فرعون نطق الشهادة حينما أدركه الغرق، فتيقن له ما يعرفه من نفسه أنه ليس إلها ولا ربا، ولكن كبره أعماه عن ذكر اسم الله، فلم يقبل الله منه ذلك.

وهذه حقيقة ينبغي أن يعلمها أتباع القادة وجنودهم، أن هؤلاء القادة لا يملكون من أمرهم شيئا، وأنهم بشر مثلكم، وأنهم لولاكم لما كانوا شيئا، ولما فعلوا شيئا، وهم في قرارة أنفسهم يعلمون ذلك، فكأن القرآن يقول لهؤلاء الأتباع والجنود: كيف تقبلون أن يضحكوا عليكم ويستخفوكم ويستهنؤوا بكم ويستخدموكم لأغراضهم الدنية ولتثبيت ملكهم الظالم؟ وقد يأتي يوم يصحو هؤلاء القادة على أنفسهم، فتندمون وتخسرون الدنيا والآخرة؟ فلا أنتم ملكتم الدنيا، ولا حصّلتُم الآخرة، إن هذا هو الخسران المبين.

ثم يقرر القرآن حقيقة مؤسفة، وهي أن هؤلاء غافلون عن التفكير بآيات الله، " وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون". وليس التفكير هنا محصورا بإدراك قدرة الله على فلق البحر، وإنما بقدرته على إهلاك القادة الظالمين وأتباعهم أيضا. ولكن الله لعلمه المطلق الواسع يبين أن من سينتفع بهذه الآيات الكونية والقرآنية قلة قليلة، أما الكثرة الكاثرة فهم غافلون عنها، وعن إدراك كنهها، والتفكير بمدلولاتها، لاهون في أمور الدنيا ساهون عن أمور الآخرة. وهذا واقع الأتباع اليوم، نجدهم حول قادتهم ملتفين، رغم كل ما يفعلونه من ظلم وقتل وإجرام وإفساد واضح ليس فيه غموض، وقلما نسمع عن رجل من جنود القادة تفكر بحاله فقرر أن يؤوب إلى الله، وأن يتوب عن أفعاله الشنيعة.

## 2.6 مشهد سورة الدخان

قوله تعالى في سورة الدخان: " فَدَعَا رَبُّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (23) وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْوَإٍ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ (24) ".

تبين هذه الآيات صفة أخرى لهؤلاء القوم والجنود، " قوم مجرمون ". وذكرها الله على لسان سيدنا موسى عليه السلام، لبيان شدة ما كان يعانيه منهم، هو ومن معه، لأن الأمر لا يتعلق به وحده، إذ هو راع ومسؤول عن رعيته.

فهذه الصفة الشنيعة توضح أن هؤلاء القوم بلغ بهم الظلم مبلغا حتى صاروا مجرمين، هم مجرمون بأنفسهم، ولا يحتاجون لأوامر عليا من أجل فعل إجرامهم، لقد أصبحوا يرون أنفسهم

جزءاً أساسياً لا يتجزأ من هذه المنظومة المجرمة، وما يشير إلى ذلك أن الله تعالى لم يذكر هلاك فرعون في هذه الآيات، وإنما ذكر غرق الجنود فقط "إنهم جند مغرقون".

وصحيح أن غرق فرعون ذكر في آيات أخرى، وأنه إذا غرق الجنود فمن باب أولى غرق القادة الذين كانوا معهم وأمروهم بما أمروهم به، لكن هذه الآيات تعبر عن هذه القضية الخطيرة، وهي أن الجنود صاروا يظنون أنفسهم قادة على من هم دونهم من المستضعفين، ومن يعذبونهم ويسجنونهم ويقتلونهم، ولذلك استحقوا العقوبة التي نالت القادة، وأفردوا بذكر هلاكهم؛ لئلا يخطر على بالهم ولو للحظة واحدة أنهم ربما ينجون.

ويؤكد القرآن مرة بعد أخرى على هذه القضية بذكر لفظ الجند؛ لزيادة البيان والتأكيد. يقول ابن عاشور: " وإقحام لفظ ( جند ) دون الاختصار على مغرقون؛ لإفادة أن إغراقهم قد لزمهم حتى صار كأنه من مقومات عنديتهم " (ابن عاشور، التحرير والتنوير: 301/26). فلم يقل: إنهم مغرقون، بل إنهم جند مغرقون، حتى صار هذا وصفا لازما لهم.

## 2.7 مشهد سورة الذاريات

قوله تعالى في سورة الذاريات: " وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (38) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40) "

هذه سابع مرة يذكر القرآن فيها عاقبة فرعون وجنوده، وغرقهم في البحر، وهذا اللفظ هو ذاته الذي ورد في سورة القصص، (دون لفظ: وهو ملهم والضمير لفرعون) قال الطبري: " فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) يقول فألقيناهم في البحر، فغرقناهم فيه (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول: وفرعون ملهم، والملهم: هو الذي قد أتى ما يُلام عليه من الفعل ". (الطبري، جامع البيان، 432\22)

فيذكر الجنود مع فرعون ويؤكد على ذلك مرارا وتكرارا، للتأكيد على هذه الحقيقة الخالدة، قال الرازي: " وهو إشارة إلى بعض ما أتى به، كأنه يقول: وَاتَّخَذَ الْأَوْلِيَاءَ فَلَمْ يَنْفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ اللَّهُ وَأَخَذَ أَرْكَانَهُ وَأَلْقَاهُمْ جَمِيعًا فِي الْيَمِّ وهو البحر، والحكاية مشهورة " (الرازي، مفاتيح

الغيب، 28\183). وأما قوله فتولى بركنه أي أنه اعتمد على قوته وجنوده وأتباعه لكنهم لم ينفعوه . قال القرطبي: " (بركنه) أي بجموعه وأجناده، ومنه قوله: (أو آوي إلى ركن شديد) يعني المنعة والعشيرة. وقيل: بقوته. وقيل: بنفسه. وقيل: بجانبه، كقوله تعالى: (أعرض ونأى بجانبه)" (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 17\49 بتصرف).

### 3. الخاتمة

من خلال ما سبق سرده من مشاهد وآيات، وما تم ذكره من تعليقات، نسجل أهم الملاحظات والنتائج:

أولاً: ذكر القرآن مشاهد عاقبة فرعون وجنوده في الدنيا في سبعة مواضع، وكرر ذكر الجنود مع فرعون عشر مرات، وأفردهم بالذكر مرة أخرى، وهذا يدل على اهتمام القرآن البالغ بهذه القضية، وأنها قضية حيوية وواقعية تتكرر في كل زمان ومكان، وما يهتم القرآن به فحري أن يولي الاهتمام الشديد، وأن يبين للناس كما بينه القرآن دون موارد ولا خوف.

ثانياً: فصل القرآن في ذكر صفات أتباع القادة وأفعالهم وسلوكهم، فذكر ثمانية عشر وصفا لهم مما ورد في هذه المشاهد فقط، وهي:

- 1- خاطفون: (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطفين)
- 2- مستكبرون: (واستكبر هو وجنوده )
- 3- ظالمون: (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)
- 4- أئمة في الضلال، يدعون إلى النار (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)
- 5- ملعونون (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة)
- 6- جاهلون فاقدو العقول والتفكير: (فاستخف قومه فأطاعوه)
- 7- فاسقون (إنهم كانوا قوماً فاسقين)
- 8، 9- باغون، عادون، (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا)
- 10- غافلون: (وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون)

11- مجرمون، (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون)

12- مفسدون (إنه كان من المفسدين) هذه الصفة وصفت فرعون وبما أن جنوده وسائل فعله فهم مشتركون فيها أيضا، وذكرت الآيات أساليب عديدة لإفساده منها العلو في الأرض والتفريق بين الناس واستضعاف الضعفاء وتذبيحهم ( إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) وعلا هذا فيمكن أن نزيد 4 صفات

13- عالون

14- طائفون

15- فوقيون

16- قتلة

وذكر وصفين لهم في الآخرة، وهما:

17- مقبوحون (ويوم القيامة هم من المقبوحين)

18- لا يُنصرون، (ويوم القيامة لا ينصرون)

واتساع مدى قبح هذه الصفات وكثرتها، يدل على خطورتها وضرورة الحذر منها والابتعاد عنها واجتنابها، كما بينت الآيات أن جل صفات القادة المذمومة ذكرت في وصف الأتباع، واشتراكهم في ذلك يدل على استحقاتهم الدم جميعا، وأنه لا مزية لأحد على أحد في ذلك، بل الكل مشتركون في الحكم والإثم.

ثالثا: بين القرآن أن عاقبة الجنود والأتباع في الدنيا كانت كعاقبة القادة دون تفريق بينهم، وهي اللعنة والطرده من رحمة الله، والانتقام منهم بالعذاب والمهلك، إن قدر الله ذلك عليهم لحقهم جميعا. وذكر ذلك في القرآن خمس مرات عن جنود فرعون، (فأخذناه وجنوده فنبدناهم في اليم، -مرتان- فأغرقناهم أجمعين، فعشيهم من اليم ما غشيهم، إنهم جند مغرقون). وقد اشتركوا في تلك النتيجة لاشتراكهم في الأفعال والصفات، واعتماد بعضهم على بعض، فلا ينجو أحد من ذلك إلا بالتوبة والخروج من هذه الدائرة الظالمة والمنظومة المجرمة.



تم هذا البحث بفضل الله وتوفيقه، فما كان فيه من صواب فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

هذا والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

## Bibliography

- Abu Al-Su'ūd, M. M. *Irshād Al-'ql Al-Salīm ilā Mzayā Al-Qur'ān Al-Karīm*. Beirut: Dār Iḥyā' Al-Tturāth Al-'Rabī. 1431H.
- Abu Zahrah. M. A. *Zahratu Al-Tafaseer*. Beirut: Dār Al-Fikr Al-'Rabī. 2001.
- Al-'Ālūsī, M. *Rūḥ Al-Mā'ānī fī Tafsīr Al-Qur'ān Al-'aẓīm wa Al-Sab'ī Al-Mathānī*. Beirut: Dār Iḥyā' Al-Tturāth Al-'Rabī. 1415H.
- Al-Baghawī, H. *Ma'ālīm al-Tanzīl Fī Tafsīr al-Qur'ān*. Riyadh, KSA: Dār Ṭāibah. 1996.
- Al-Baydāwī, A. O. *Anwaru Al-Tanzīl wa Asraru Al-Ta'wīl*. Beirut: Muassasa Sha'bān) 1st ed.
- Al-Qurtubī, M. A. *Al-Jāmi' li Aḥkam Al-Qur'ān*, Cairo: Dār Al-Kitāb Al-'arabī. 1967.
- Al-Rāzī, M. O. *Al-Tafsīr Al-Kabīr*. Ṭehrān: Dār Al-Kutub Al-'ilmiyya. 1420H.
- Al-Ṭabarī, M. J. *Jāmi'u Al-Bayān fī Tafsīr Al-Qur'ān*. Beirut: Dār Al-Ma'refah. 1978.
- Al-Zamakhsharī, M. O. *Al-Khashshaf*. Beirut: Dār Al-Ma'refah. 1407H.
- Ibn 'āshūr, M. Ṭ. *Al-Tahrīr wa Al-Ttanwīr*. Tunis: Dār Saḥnūn. 1997.
- Ibn Kathir, E.O. *Tafsīr Al-Qur'ān Al-'Aẓīm*. Beirut: Dār Iḥyā' Al-Tturath Al-'Arabī. 1969.
- Qutub, S. *Fī Zilāl Al-Qur'ān*. Beirut: Dār Iḥyā' Al-Tturāth Al-'arabī. 7st. 1971.